

الدرس)61(من شرح القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن

خالد المصلح

القاعدة الخامسة والثلاثون في القرآن عدة آيات فيها الحث على أعلى المصلحتين وتقديم أهون مفسدتين ومنع ما كانت مفسدته ارتجح من مصلحته. هذا أيضاً من الفوائد هذه الفائدة منبثقة عن أصل يجب معرفته وادراكه في هذه الشريعة وهي أنها شريعة جاءت

- 00:00:00

بتحصيل المصالح وتکفيرها. هذه المرتبة الأولى المتعلقة بالمصالح. تحصيل وتکفير المصالح فيها درجتان تحصيل وتکفير المرتبة الثانية ما يتعلق بالمفاسد و جاءت في تعطيل المفاسد وتقليلها فإذا لم يمكن التعطيل فينتقل إلى المرء الدرجة الثانية وهي التقديم.

كلام المؤلف رحمة الله في - 00:00:29

والمفاسد هنا هو عند التزاحم. أما إذا كان يمكن تحصيل المصلحتين على وجه الاستقبال قال فإنه يجب تحصيل المصالح. لكن الكلام فيما إذا تزاحم المصالح ومعنى التزاحم أنه لا يمكن تحصيله - 00:01:04

أحدى المصلحتين إلا بتفويت الأخرى. وكذلك في المفاسد تزاحمها أنه لا يمكن تجنب أحدى المفسدتين إلا بارتكاب الأخرى. عند ذلك تأتي هذه القاعدة التي ذكرها المؤلف رحمة الله. وهي تقديم أعلى المصلحتين هذا في تزاحم المصالح وارتكاب أهون المفسدتين هذا في المفاسد. ومنع ما كانت مفسدة - 00:01:24

وارجح من مصلحته هذا فيما إذا كانت الموازنة بين المصالح والمفاسد إذا عندنا ثلاث مراتب المرتبة الأولى المصالح والمفاسد إذا اجتمعا فماذا يقدم؟ تحصين ماذا يقدم في التحصيل؟ لا - 00:01:54

عندنا ما في مصلحتين عندنا مصلحة ومفسدة. ماذا نقدم؟ المصلحة. عندنا المرتبة الثانية تزاحم المصالح. ماذا تقدم أعلى مصلحته عندنا المرتبة الثالثة تزاحم المفاسد يرتكب أهونها نعم وهذه قاعدة جليلة نبه الله عليها في آيات كثيرة فمن الأول المفاضلة بين الأعمال - 00:02:09

تقديم الأعلى منها كقوله لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح. الآية وك قوله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن أمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله. الآية - 00:02:39

وك قوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله الآية هذه هي القبلة الأولى أو هذا مثال للمرتبة الأولى وهي تزهد تزاحم المصالح. وهو المفاضلة بين الأعمال الصالحة. لا شك - 00:02:59

إن الأعمال الصالحة مراتب ودرجات وليس على درجة واحدة في الأجر ولا في النفع بما الذي يقدم؟ الذي يقدم منها ما قدمه الله ورسوله. وما لم يرد فيه نص يعلم. تقديميه بادلة أخرى. فالاعمال - 00:03:19

مفظلة باعتبار الجنس وباعتبار النوع وباعتبار الأفراد. ومعرفة هذا يحتاج إلى فقه دقيق لأن معرفة مراتب الأعمال من دقائق الفقه. من دقائق الفقه إن يعرف الإنسان مراتب الأعمال. أي ما يقدم يقدم هذا أو هذا - 00:03:38

ولكن يؤتى هذا الفقه من آثار الله بصيرته بمعرفة ما قدمه الله ورسوله. فيقدم ما نص الله على تقديميه ورسوله ثم بعد ذلك إذا لم يكن نص فالنظر المبني على نور القرآن وهدي السنة يوصل الإنسان إلى معرفة من - 00:03:58

يقدم على غيره من الأعمال. المثال الثاني أو مثال القاعدة الثانية. وهو تقديم أهون المفسدتين إذا اجتمعتا نعم. ومن الثاني قوله تعالى وصد عن سبيل الله وكفر به. والمسجد الحرام وخارج أهل - 00:04:25

منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل. بين تعالى أن ما نقمه الكفار على المسلمين من في الشهر الحرام انه وإن كان مفسدة فما انتقم

عليه من الصد عن سبيل الله والكفر بالله وبالمسجد - 00:04:45

حرام واخراج اهله من اكبر عند الله من القتل. قوله ولو رجالي مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطوهن الايات ففهم الله عن القتال في المسجد الحرام مع وجود المقتضي - 00:05:05

من الكفار خوف المفسدة المترتبة على ذلك من اصابة المؤمنين والمؤمنات من معرة الجيش ومضرته وكذلك جميع ما جرى في الحديثة من هذا الباب من التزام تلك الشروط التي ظاهرها ضرر على المسلمين. ولا - 00:05:25

لكن صارت هي عين المصلحة لهم. ومن هذا امر بكاف الايدي قبل ان يهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة لان الامر بالكتال في ذلك الوقت اعظم ضررا من الصبر والاخلاق الى السكينة. ولعل منها - 00:05:45

هذا مفهوم قوله فذكرا نفعا فانتصرت فترك التذكرة الموجب للضرر الكبير هو تعين الايات في هذا النوع كثيرة جدا. واضح هذه الامثلة؟ طيب المثال الاول قوله تعالى وصد عن سبيل - 00:06:05

للله وكفر به والمسجد الحرام والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله. اكبر يقتضي ان هناك ما هو اصغر من ذلك. وما هو اصغر من هذه الامر هو ما وقع من مقاتلة الكفار في الاشهر الحرم. لان المشركين عابوا على - 00:06:25

النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه انه وقع منهم قتال في اول شهر الحرم قال الله جل وعلا في الرد على هؤلاء وبيان ان ما هم عليه اعظم جرما مما - 00:06:45

نسبوه الى النبي صلى الله عليه وسلم من انتهاء حرم شهر الحرم فقال وصد عن سبيل الله وكفر به اي بالله والمسجد الحرام يعني وكفر بالمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله. والفتنة اكبر من القدر - 00:07:06

فدل ذلك على ان انه اذا تزاحمت المفاسد فانه يرتكب اهونها. الان عندنا مفسدة بقاء الشرك الكفر والعناد والظلم من اهل مكة وعندها مفسدة ثانية وهي انتهاء شهر الحرم ايها ايهما اعظم؟ ان ينتهك شهر الحرم اذهاب تلك المفسدة او - 00:07:26

يترك هذا الامر وهو القتال في شهر الحرم. مراعاة لحرمة مع وجود مفسدة اعظم منه الجواب ما قاله الله جل وعلا في قوله اكبر عند الله. فدل ذلك على ان ارتكاب اهون - 00:07:56

المفسدين لدفع على بدفع علاهما هذا هو المتعين وهذا هو الواجب وهذا مثال اخر واضح الثاني قول الله تعالى ولو رجالي مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطوهن. اي بالقتل وذلك في غزوة من الغزوات - 00:08:16

وهي ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم في السنة السادسة في صلح الحديثة حيث نفوس الصحابة الى مقاتلة الكفار لما منعوهم وحالوا بينه وبين المسجد الحرام وبين الله عز وجل ان منع القتال وكف ايديهم عن المؤمنين وكف ايدي المؤمنين عن المشركين كان - 00:08:36

لمصلحة عظمى وهي حصول التمييز بين معاشر اهل الكفر واهل الايمان. فان مكة فيها من المؤمنين ما لو قاتل المسلمون الكفار في ذلك الوقت لاصابوهم بقتل فتصيبهم معرة وهو المتصيب قلوبهم او اثم كما قال بعض المفسرين - 00:09:03

فمنع الله القتال لاجل هذه المصلحة والمصالح الاخرى التي ترتب على ترك القتال في تلك الغزوة من الفتح العظيم. بالصلح الذي جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين في مكة نعود الى ما ساق المؤلف رحمة الله من اجلها - 00:09:30

هي الموازنة بين ترك قتال الكفار وقتالهم مع قتل المؤمنين والمؤمنات الذين لم يتميزوا عنهم. فكانت ترك القتال في هذا اولى من القتال الذي يترتب عليه قتل من لم يتمكن من الهجرة من اهل الاسلام - 00:09:50

نعم المثال الاخير قال ولعل من هذا مفهوم قوله فذكرا نفعا فانتصرت فترك التذكرة هنا بشرط وهو حصول النفع بالتنذير. فقال ذكر ان نفعا الذكر. فان كان - 00:10:10

يتترتب على الذكر مضره تقدم لنا انه بالاجماع لا تشرع التذكرة في مثل هذه الحال لان عندنا مفسدتان مفسدة ترك التذير وهو بحد ذاته مفسدة وهناك مفسدة اخرى وهي ان يحصل التذير - 00:10:28

لكن يترتب عليه شر وضرر اكبر من مفسدة الترك للتذير. من مفسدة ترك التذير. فهنا اي ما نقدم نقدم مفسدة ترك التذير لان

المفسدة الاخرى اعظم منها ولم يجزم المؤلف رحمة الله بدخول هذه الاية في هذا المثال لان من - 00:10:48

من قال ان الشرط هنا ليس مرادا. بل ذكر مطلقا نفعت الذكر او لم تتفعه. وقد تقدم لنا الكلام في هذه الاية قريبا نعم ومن الثالث قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثم - 00:11:10

وهما اكبر من نفعهما. هذا كالتعليق العام ان كل ما كانت مضرته واثمه اكبر من نفعه ان الله من حكمته لابد ان يمنع منه عباده ويحرمه عليهم. وهذا الاصل العظيم كما انه ثابت - 00:11:32

فانه هو المعقول بين الناس المفطورين على استحسانه والعمل به في الامور الدينية والدنيوية اعلم نعم هذا هو القسم الاخير من هذه القاعدة وهو اذا تزاح اذا اجتمعت مصلحة ومفسدة - 00:11:52

فيقدم المصلحة. اذا كانت المفسدة لا ترضوا عليها. لكن اذا كان ارتكاب اذا كانت المصلحة مغمورة في جانب المفسدة او العكس اذا كانت المفسدة مأمورة في جانب المصلحة فهنا يكون محل نظر لكن الكلام - 00:12:12

اذا كانت مفسدة ظاهرة ومصلحة خفية. فهنا يقدم اجتناب المفسدة الراجحة ولو ذهب بذلك مصلحة. ومثل بمثال واضح وهو قوله يسألونك عن الخمر والميسر. اجاب الله عز وجل عن هذا السؤال قل فيهما اثم - 00:12:32

كبير ومنافع للناس. فيها مصالح ومفاسد فهنا ما الذي يقدم؟ ننظر الى المصلحة والمفسدة قال الله عز وجل في في المفسدة اثم كبير. وقال ومنافع للناس جمع ولم يبين لنا انها - 00:12:52

او تساوي فعند ذلك تقدم المصلحة يقدم اجتناب المفسدة على تحصيل المصلحة. والاحوال في هذا الحالة الاولى ما في هذه الاية وهو ان يكون جانب المفسدة ارجح فهنا تجتنب المفسدة - 00:13:12

تهاجر تلك المصلحة لانه لا يمكن اجتناب المفسدة الا باهدار هذه المصلحة. الحالة الثانية ان تكون المصلحة رابية زائدة عن المفسدة فهناك تؤتى المصلحة ويغتفر ما في الامر من من مفسدة - 00:13:32

لكونه منغامرا في جانب المصلحة. الحالة الثالثة ان تستوي المصلحة والمفسدة. وهذه محل اجتهاد يجتهد الانسان في الاخذ او الترک. نعم. القاعدة السادسة والثلاثون. طريقة اباحة الاقتاصاص من المعتدين ومقابلته بمثل عدوانه والنهي عن ظلمه والتدب الى العفو والاحسان - 00:13:53

وهذا في ايات كثيرة كقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم له خير للصابرين وجزاء سيئة سيئة مثلها. فمن عفا واصلح فاجره على الله. انه ولا يحب الظالمين. فذكر المراتب الثلاث. ولما كان القتال في المسجد الحرام محظيا. قال تعالى - 00:14:22

فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين. الى قوله فان انتهوا فلا عداون الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص. وهو كل ما حرمه الله وامر باحترامه. فمن انتهكه - 00:14:52

فقد اباح الله الاقتاصاص منه بقدر ما اعتدى به لا اكثر. قوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل فيما اعتدى عليكم واتقوا الله. يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى. الحر بالحر - 00:15:12 والعبد من العبد والانثى بالانثى. الاية وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس. الاية ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل. انه كان منصورا. لا يحب الله الجهر بسوء - 00:15:32

من القول الا من ظلم والایات في هذا المعنى كثيرة والله اعلم. لكن لابد من تقييد قوله ومقابلته مثل عدوانه الا يكون ذلك الفعل محظيا. لانه يجوز مقابلة المعتدي بمثل عدوان - 00:15:52

ما لم يكن فعله محظيا فانه لا يجوز ان يقابل به. فمثلا لو ان شخصا زنا باهله. زنا باهل شخص اخر. فيليس اعتدى على عليه ان يزني باهل هذا المعتدي لان هذا محظي. فتقيد تلك - 00:16:12

بالا يكون القصاص مفضيا الى ارتكاب محظي حرمته الشريعة. طيب قوله رحمة الله كثر المراتب الثلاث في قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين - 00:16:36

وكذلك في قوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عاقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابعين. الثانية الاية الاولى قوله وجذاء سيئة سيئة

مثلها اين المراتب الثلاث؟ وما هي المراتب الثلاث؟ ما هي المراتب الثلاث؟ التي جمعت في هذه الاية - 00:16:55

هـ؟ المقابلة والندب الى العفو والنهي عن الظلم. المقابلة في قوله وجذاء سيئة سيئة مثلها. الان ندب الى العفو في قوله فمن عفا

واصلاح فاجره على الله. النهي عن الظلم في قوله انه لا يحب الظالمين. لكن انتبه في العفو - 00:17:13

الندب الى العفو ليس مطلقا. بل الى العفو الذي يترتب عليه اصلاح. فان كان العفو يتربت وعليه مفسدة فانه غير مأمور به. ولا مندوب

ولا مندوب اليه. فتنبه الى هذا لان من الناس من يظن - 00:17:38

ان العفو مندوب اليه مطلقا. وليس الامر كذلك فان الله جل وعلا لم يطلق الامر بالعفو. بل قال فمن عفا واصلاح والاصلاح قيد في

العفو. فاذا كان العفو لا اصلاح فيه فالحزم - 00:17:58

احد والشرع الا يكون عفوا. وهذا قول من يتباهى اليه. فلا بد من تقييد العفو كما ذكر ذلك شيخ الاسلام رحمه الله ونبه اليه شيخنا كثيرا.

نعم. القاعدة السابعة والثلاثون - 00:18:18

اعتبر الله القصد والارادة في ترتيب الاحكام على اعمال العباد. وهذا الاصل العظيم صرحت به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انما

الاعمال بالنيات. والمقصود هنا انه ورد ايات كثيرة جدا في هذا الاصل - 00:18:38

فمنها وهو اعظمها انه رتب حصول الاجر العظيم على الاعمال بارادة وجهه. لما ذكر الصدقة المعروفة والاصلاح بين الناس قال ومن

يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما - 00:18:58

قال ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله. وفي مقابلة قال ربئ الناس الله نبيه وخيار خلقه من الصحابة رضي الله عنهم

بانهم يبتغون فضلا من الله ورضوانه قال تعالى في الرجعة وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا. لا يؤاخذكم الله -

00:19:18

في ايامكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم. وقال تعالى من بعد وصيتي يوصى بها او دين غير مضار. فان طبن لكم عن شيء منه

نفسا فكلوه هنيئا مريئا. لا تأكلوا - 00:19:48

واموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم. وقال تعالى وان تخالفوهم اخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح. وفي

دعاء المؤمنين ربنا لا تؤاخذنا ان نسيينا او اخطأنا - 00:20:08

قال الله قد فعلت وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم. وذكر الله قتل الخطأ ورتب عليه الدية والكافرة ثم قال

ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدين - 00:20:28

فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما. وقال في الصيف ومن قتله انكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم. وقال

واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروا - 00:20:48

الى غير ذلك من الآيات الدالة على ان اعمال الابدان واقوال اللسان صحتها وفسادها وترتب اجرها او وزرها بحسب ما قام بالقلب.

هذه قاعدة مهمة وهي كما قال الشيخ رحمه الله هذا الاصل العظيم صرحت به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انما الاعمال بالنيات.

هذا تصريحا والا فقد ورد من - 00:21:08

نصوص ما يدل على ان العبرة باعمال القلوب ومقاصدها ما لا حصر لها. سواء في الكتاب او في السنة. فمن لذلك في السنة وكان من

الجدير ان يأتي به المؤلف رحمه الله - 00:21:38

قول النبي صلى الله عليه وعلى الله وسلم فيما يرويه الامام مسلم من حديث ابي هريرة ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اجسامكم

ولكن ينظر الى قلوبكم وفي رواية واعمالكم. فالنظر من الله جل وعلا للقلب وما - 00:21:54

فيه والحساب يوم القيمة في الاصل الاعمال القلوب واعمال الجوارح تابعة ولذلك كان في عمل القلب اعظم اجرا وثوابا عند الله عز

وجل من عمل ايش؟ من عمل البدن هذا واحد - 00:22:14

ثانيا ان عمل القلب يؤجر عليه الانسان ولو لم يرافقه او يصاحبه عمل البدن اما عمل البدن فلو كان الليل والنهار. لكن لم يصاحبه عمل

القلب فانه لا ينفع صاحبه - 00:22:34

وهذا ثانٍ ما يدل على ان الفضل والسبق لعمل القلب مما يدل ايضا على اهمية اعمال القلوب ان اثام القلوب اعظم بكثير من اثام الجوارح فالرياء يسراه يمنع دخول الجنة. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة منك -

00:22:55

قدر ولم يرد مثل هذا التهديد على شيء قليل من اعمال الجوارح مما يدل على اهمية عمل القلب ايضا ان فساد القلب سبب للعقوبة العظيمة ولو صلح الظاهر فان الله جل وعلا قد قال في المنافقين الذين فسدت قلوبهم مع صلاح ظواهرهم ان المنافقين -
00:23:21 في الدرك الاسفل من النار قال ابن القيم رحمه الله واثام القلوب اعظم من اثام الجوارح. واستدل قال والناس يعني يغيب عنهم مثل هذا الامر فتجد الشخص يعظم في عينه الزنا ويعظم في عينه كبائر الذنب -
00:23:50

من اعمال الجوارح لكنه يغفل عن قوام من اعمال القلوب هي اعظم من تلك الاعمال التي في الجوارح كالزنا وغيره. وضرب لذلك مثلا بالرياء. يسير الرياء يغفل عنه كثير من الناس مع انه اعظم خطرا واثرا من كبائر الذنب التي -
00:24:13 في الجوارح وهذا يوجب على الانسان ان يعتني بقلبه من حيث التخلية ومن حيث التحلية. من حيث التخلية ازالة الافات عنه. ومراقباته ومراقبته. ومن حيث التحلية الاشتغال باعمال القلوب ولا يعني هذا ان يتختلف عمل الظاهر فانه لا يمكن ابدا اطلاقا ان يصلاح الجوهر -
00:24:40

ويصلاح القلب ويكون العمل فاسدا ابدا لا يمكن. بل كل فساد في الظاهر يدل على نوع فساد في الباطن هذى قاعدة لا اشكال فيها ولا ريب ذكر مؤلف رحمه الله في هذه القاعدة ادلة عديدة تدل على ان عظيم الاجر يرتب على ما في -
00:25:09 قلب من عمل فقال منها وهو اعظمها انه رتب يعني من الادلة على هذه القاعدة وهو اعتبار القصد والارادة في ترتيب الاحكام على اعمال العباد هو اعظمها ان نعم انه رتب حصول الاجر العظيم على الاعمال بارادة وجهه. لما ذكر الصدقة والمعروف والاصلاح بين الناس -
00:25:32

فدل ذلك على ان عدم ارادة وجه الله عز وجل في هذه الاعمال وفي هذه القراءات يذهب صحيحا؟ ولا يحصن الانسان ما رتب عليهها من الفضل. ومن يفعل ذلك وهو الاصلاح بين الناس. ومن يفعل ذلك -
00:25:52 ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما فان لم يكن ابتغاء لوجه الله فانه لا يحصل له الاجر العظيم والامثلة التي ذكرها واضحة في غالبيها نعم -
00:26:12